

مقاومة الشيخ بوعمامة في الكتابات الجزائرية خلال العهد الاستعماري

بقلم د/ عبدالقادر خليف

لقيت مقاومة الشيخ بوعمامة اهتماما كبيرا خلال العهد الاستعماري، من قبل الكتاب الفرنسيين عسكريين ومدنيين على السواء، فكتبوا عنها كثيرا، بينما لم تلق الاهتمام نفسه من قبل الجزائريين بني جلدته آنذاك، وذلك حسب علمنا حتى الآن، إذ أن المخطوطات التي تظهر بين الحين والآخر من خلال بعض المحققين، هي التي قد تظهر لنا ما كان خافيا عنا، وقد تفاجئنا فعلا ذات يوم بما لم نكن نتوقعه؛ حيث تعرفنا على أحد الكتب التي تعرضت باقتضاب لحركة الشيخ، خلال مشاركتنا في أحد الملتقيات الجهوية بمدينة آرزو سنة 2002، وقد قدمه أحد أساتذة قسم الحضارة الإسلامية بوهرا، من خلال تعرضه لصاحب الكتاب (الجباري) باعتباره أحد أبناء بلدة بطيوة التابعة لآرزو، فوجدناه يذكر الشيخ بوعمامة في إحدى المقامات التي قدمها، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد.

لقد جرت أحداث مقاومة الشيخ بوعمامة في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، أي أنها وقعت في منطقة بعيدة عن الأجزاء الشمالية ذات الحركة

الكبيرة في كل المجالات، وبخاصة في القرن التاسع عشر، حين كانت وسائل المواصلات الحديثة نادرة أو قليلة؛ ولكن الوقائع الجديدة وما تكشفه لنا المخطوطات تجعلنا نغيّر الكثير من مفاهيمنا لما كان يتم في أزمنة وأوطان نظن أنها كانت معزولة وبعيدة عن كل نشاط؛ وبالتالي فإن ما كان يحدث فيها لن يتجاوز حدودها القريبة.

ولكننا وجدنا أن أصدقاء مقاومة الشيخ بوعمامة مثلاً، كانت أوسع من مجالها المكاني، والدليل على ذلك أن كُتاباً جزائريين من الشمال الجزائري كتبوا عنها، رغم أن كتاباتهم لم تكن في مستوى تلك الحركة، أي أنها لم تعط للشيخ المكانة التي كان يستحقها، فلم تقدر جهوده حق قدرها، ولم تقل ما كان يجب أن يقال تجاه زعيم وقف في وجه التوسع الاستعماري الفرنسي، ووجدنا جل هؤلاء الكتاب يعيرون على الشيخ عمله ويصفونه بأقبح الأوصاف وينعتونه بأشنع النعوت، لأنه قام في وجه أناس كان هؤلاء الكتاب يظنونهم أفضل منه فهما وقوة وحضارة، أي أنهم كانوا مولعين بالأوربيين، وينظرون إليهم من موقع استكانة وخضوع، وأن ما كان يجب على الشيخ بوعمامة فعله هو الإذعان والخضوع ولا شيء غير ذلك.

إن انتقال خبر مقاومة الشيخ بوعمامة إلى المناطق التالية يدلنا على أن الاتصال كان واقعا بين مختلف أجزاء البلاد الجزائرية المختلفة مهما بعدت المسافات، أي أن الخبر كان أسرع من المتوقع، فلقد تدرب الجزائريون على ذلك منذ أقدم الأزمنة. ومهر مختلف أفراد وفئات المجتمع الجزائري في هذا الميدان، وبخاصة منهم التجار ومعلمي الأطفال (الطلبة)، هؤلاء الذين كانوا

يتنقلون بين القرى والدواوير ليعلموا أبناء هذا أو ذاك، ليركوه بعد مدة إلى غيره من الناس.

لقد رأى الفرنسيون في هذا "الطالب" المتنقل بين القبائل أفضل وسيلة لنقل الأخبار المسيئة إليهم، يقول أحدهم عن هؤلاء المعلمين -الذين يسمي الناس الواحد منهم بـ "الطالب" أو "الفقيه" أو "الشيخ"...- ما يلي: "كم من مرة فوجئنا بالسرعة التي يتلقى بها الأهالي أحداثا جديدة. وقعت على مسافات بعيدة، هي أخبار لا نستطيع معرفتها نحن إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام فيما بعد." (1)

فالفرنسيون يعترفون هنا بعجزهم، رغم الإمكانيات التي يمتلكونها، من إيصال الخبر إلى المكان المرغوب في الوقت المناسب، بينما يفعل ذلك الجزائريون. إن معرفة الجزائريين بخبايا ودروب بلادهم جعلتهم أكثر قدرة من الفرنسيين على التنقل والحركة السريعة. وكان الطالب من أبرز هؤلاء، لأنه مثقف البلدة ومصباحها المضيء، أما الفرنسيون فيجهلون الكثير عن هذه البلاد، ولولا مساعدة بعض الجزائريين للفرنسيين ما استوطن هؤلاء البلاد ولا تمكنوا من مغادرة الجزائر العاصمة بعد احتلالها سنة 1830 ولا تجاوزوا أطرافها.

أما عن الكتابات الجزائرية حول حركة الشيخ بوعمامة خلال العهد الاستعماري فقد تمكنا من تحديد ثلاث كتابات حتى الآن، هي ثلاث كتاب: المزارى والراشدي والجباري. وقد كُتبت الثلاثة مراجع في نهاية القرن التاسع عشر.

وهذه الكتب هي:

1- "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط". لأحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي⁽²⁾:

يبدأ الشقراني كتابه الصغير الحجم هذا بالحديث عن بوعمامة تحت العنوان التالي: "ذكر انتفاضة بوعمامة"، يَعتَبر فيه هذا الأخير مجردَ طماع في السلطة، وأنه سفيه ناهيك عن سكرته وغمرته، يعمل لمصلحته الخاصة ويتبع طريقا غير الكتاب والسنة، وأن "بوعمامة هذا قد سَوَّلَ له نفسه الأمانة بالسوء أن الدولة الفرنسية ستخرب على يده، ويكون هو الخليفة على زعمه ويفتح قواعد البلدان، ويسقي أعداء الله كؤوس الذبل والأهوان (كذا) ...⁽³⁾ ويتهمه بالخروج عن الأعراف بعد أن صار يهاجم القبائل التي عارضته ويقول: "ثم إنه صار يشن الغارات على من لم يتبعه من المسلمين وأباح فيهم القتل والسيي وأخذ الأموال عقوبة لهم على عدم بيعته ونصرته، وعلى امتناعهم من الدخول ذلته وورطته وظن بهم الظنون.." ويوضح أنه سرعان ما سيهزم ويتشتت شمله، وأنذاك سيدفع هؤلاء السكان الثمن غاليا للفرنسيين، إذ أنه سيضطر هو إلى الفرار ويتركهم في محلهم محاييس...

ويواصل الكاتب معارضته للشيخ بوعمامة بذكر أمثلة من العصور الخوالي عما كان للملوك السابقين وما آل إليه البعض من الذين لم يحسبوا حسابا للعواقب، كما يأتي بأبيات شعرية، منها قوله:
كناطح صخرةً يوما ليقلعها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

ثم ينتقل إلى ذكر الفرنسيين الذين خرجوا لتأديبه وقطع دابره وأمنيته، وأنهم ذهبوا إليه وهم كالجراد المنتشر.

ثم يبين من جهة أخرى قوة الفرنسيين وجبروتهم، وأنهم هدموا قبة سيد الشيخ⁽⁴⁾ ودفنوا عظامه في البيض، ولو كان غيرهم ما فعلوا ذلك، أي أنهم إنسانيون، لأنهم حملوا رفات الميت ودفنوها ولم يرموها أو يمثلوا بها، أما بوعمامة فهو جبان، فر من الميدان، وأنه "لم ينظر لهذه الدولة العظيمة والأمة الجسيمة والجيش الغزيرة والإقامة الكبيرة التي من أعظمها البابورات البرية على سبائك الحديد ليلاً ونهاراً بقدره الله القدير."⁽⁵⁾

وأن بوعمامة ندم، عندما جد الجد، على كل أعماله وبحث عن النجاة بنفسه وضاق عليه الأرض بما رحبت ثم عدل عن أهدافه في الجهاد والرئاسة. ويعيد إليه ما عانى السكان من سخرة وشدة وتضييق وسفك لدمائهم وسي لذراريهم ونسائهم، كما أنه كان السبب في توغل الفرنسيين إلى أبعد الجهات وملئها بالعساكر والجيش...

ولم يكتف بهذا بل هاهو يدافع عن الفرنسيين، بعد أن ينقل حادث ظفر الشيخ بفقراء السبنيول وضعفائهم - كما يذكر - وهم أجراء على خدمة الحلفاء وقيامه بحرقهم بعد الظفر بهم والقدرة عليهم، ويقول عن الفرنسيين مدافعا عنهم: "ولم يبلغنا أنهم مثلوا بمسلم ولا حرقوه بإشهار، ولا فعلوا فعله مع أنهم كفار."⁽⁶⁾

ونسي الكاتب ما فعله الفرنسيون بقبيلة العوفية ذات يوم من أيام شهر أبريل من سنة 1832، بجوار العاصمة، التي أفنوها عن آخرها بعد مهاجمتها

ليلا على حين غفلة من أهلها، وذلك برواية قائد الحملة نفسه الجنرال روفيقو في كتابه "الجزائر الفرنسية." (7)

كما أن الجنرال بليسي ارتكب جريمة كبيرة ضد أولاد رياح في جبال الظهرة، عندما قام بإحراق كل من اعتصم بإحدى المغارات فرارا من الاضطهاد، وكان عددهم حوالي خمسمائة شخص، وقد مات الجميع بالحرق والاختناق. (8) وغير ذلك كثير لا مجال لحصره.

ويعتقد الكاتب أن بوعمامة تنبأ بزعامته في الأحلام فبادر إلى العمل، فيتوسع الكاتب في قضية المنام والرؤيا الصالحة وغير الصالحة، ويعتبر ما رأى بوعمامة مجرد تخيل في المنام ومن أضغاث الأحلام. (9)

ويتحدث عن الإمامة فيذكر أن بوعمامة لم يبايعه أحد وبالتالي فلا حق له في قيادة جماعة المسلمين، ويتوسع في قضية الإمامة مدللا بأمثلة تثبت نظريته ورأيه في بوعمامة وحركته.

لقد نفى الشقراني عن الشيخ بوعمامة كل الصفات النبيلة، واعتبر أعماله لاغية لأنها لا تستند على الكتاب ولا على السنة، وفسر ما قام به عدوانا وطغيانا وجهلا بالأمور لوقوفه في وجه فرنسا القوية. يذكر ناصر الدين سعيدوني أن الشقراني تحامل على بوعمامة بشدة "ونعته بأحط الصفات، بل حاول أن يعطي للقارئ عنه صورة مُشوّهة لا تتماشى ومواصفات هذه الشخصية الوطنية ولا تنطبق على الحركة التي قادها ضد الاستعمار الفرنسي في الجنوب الوهراني." (10)

وإذا كان الشقراي قد تجاهل الأهداف الحقيقية لحركة الشيخ بوعمامة، فإنه أظهر اعترافه للبعض الآخر من المقاومين، بنبل الأهداف مثلما فعل تجاه الأمير عبد القادر الذي قدر موقفه وأثنى على مقاومته وأعطاه حقها من التقدير والتمجيد، وخصص له حوالي أحد عشر صفحة من مجموع 79 صفحة التي يتكون منها الكتاب.

وعموما فإن الراشدي الشقراي يدعو إلى التواكل وترك الأمر على عواهنه. ويمثل لذلك البعض من الذين فشلوا في مساعيهم لقيامهم ضد فرنسا، كما يمثل بآخرين من المسلمين الذين "ينتظرون الفرج وزوال الحرج. وانتظارُ الفرج واجب، والعُسْر لا يدوم على أحد." (11) وهو بذلك يعطي مثالا سيئا ونصيحة انحرافية لا تصدر إلا من متعاون مع الأعداء أو فاشل رعديد.

2- "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر". لإسماعيل بن عودة المزاري (الآغا) (12)

خصص المؤلف الجزء الثاني من كتابه هذا للحديث عن التاريخ الفرنسي، فبدأ بأصل الفرنسيين وأشهر مدتهم وخصائص بلادهم الطبيعية، وانتقل للحديث عن ملوكهم (نقلا عن كتاب الزباني دليل الحيران أحيانا) فاحتلال الجزائر في عهد الملك شارل العاشر وتوسع الفرنسيين في الجزائر شرقا وغربا، وظهور الأمير عبد القادر ومعاركه معهم إلى انتقاله إلى دمشق؛ كما تحدث عن بعض المقاومات الجزائرية الأخرى مثل مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والثائر بومعزة.

وتحدث في إحدى صفحات الكتاب عن الشيخ بوعمامة من خلال التطرق لمرحلة حكم الرئيس الفرنسي جول فيري الذي تولى هذا المنصب سنة 1879، وذلك تحت عنوان: "ثورة الشيخ بوعمامة والحملة على تونس وغزو الطونكان"، ابتداءً بقوله إن جول فيري هذا "جهز جيشاً للثائر بالصحراء وهو بوعمامة البوشيخي الدرقاوي تلميذ السيد محمد بن العربي العلاوي الفيلاي... فأجلاه من الأرض وجعل بالصحراء مدناً جليلة بما الحكام". وتكلم عن مقتل ونبرينير عند قبائل الجرامنة، وتجهيز قوات فرنسية لإخماد ما أسماه بـ "الفتنة".

والكاتب هنا يتعرض للتاريخ من وجهة النظر الفرنسية، فهو يكتب للفرنسيين لا للجزائريين، هدفه إرضائهم وكسب ودهم، فيقول مثلاً: "اتفق الأحرار الشراقة والطرافي والأغواط على التخليط والخروج عن الإذعان مع أبي عمامة." (13)

وقد جر المؤلف إلى هذا الموقف انتسابه إلى إحدى قبائل المخزن الموالية للسلطة الفرنسية (الدواير والزمالة والبرجية). فهو يبين موقف المخزن من مثل هذه المقاومات الشعبية، التي يعتبرها فتنة (تخلاط)، لأن قبائل المخزن كانت تتمتع بعدة امتيازات مقابل خدماتها للسلطة، مما جعلها تعتز بتلك المكانة الاجتماعية وذلك الموقع الإداري والسياسي الذي تحظى به. فالمخزن هو المناصر للدولة الدائد عن حياضها تجاه كل خارج عنها، والخارج عنها هو كل ناهذ للقانون الفرنسي.

ولم يقصر رأيه هذا على حركة الشيخ بوعمامة بل وعلى بعض الحركات المناهضة للفرنسيين، من ذلك قوله في إحدى صفحات كتابه هذا، خلال حديثه عن الأمير عبد القادر: "وثار بالقلعة محمد بن حسن، وبسجراة الحاج محي الدين بن مخلوف وعمت البلوة من الأصنام إلى مغنية، إلى أن فر الألف من المؤلف ولم يبق على نصيحة الدولة إلا الأعراش الثلاثة المتوالية، وهم الدوائر والزمالة والغرابية في القولة الحالية." ⁽¹⁴⁾ وكأنه يشير إشارة اعتراف ومدح لهؤلاء الذين بقوا إلى جانب السلطات الفرنسية ولم يقفوا في وجهها كما فعل غيرهم من القبائل التي أثارت الفتنة والبلوة.

ونخصص للحديث عن الأمير عبد القادر ما يقارب نصف كتابه الثاني هذا، تحدث فيه عن ظهور محي الدين والد الأمير فمبايعة هذا الأخير بعد ذلك، وذكر بعض معاركه وعلاقته ببعض القبائل، وتحدث عن بعض تنظيمات دولته وتوقفه عن الجهاد واستقراره آخر الأمر في دمشق ونشاطاته هناك إلى أن توفي في 26 ماي 1883. وقد أثني على الأمير وعلى أعماله وترحم عليه.

وقد ألف هذا الكتاب بعد مدة زمنية من صدور كتاب القول الأوسط السابق الذكر، لأنه اعتمد عليه في بعض المعلومات من ذلك قوله: "قال العلامة شيخ شيخنا السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان البوشيخي ثم الشقراني، أسكنه الله بفضلله دار التهاني، في كتابه القول الأوسط في بعض من حل بالمغرب الأوسط." وذلك عند حديثه عن الأمير عبد القادر. ⁽¹⁵⁾ ومن المعروف أن المزاري مؤلف الكتاب قد توفي سنة 1897.

3- كتاب مقامات العوالية في الأخبار العلالية على اللغة المغربية، لعبيد الله القاهر الباري محمد بن علي بن الطاهر الجباري. (16)

تضمن هذا الكتاب مجموعة من المقامات المختلفة المواضيع، أما ما يهمنا هنا فهي "المقامة الأولى وتسمى الصحراوية" وتتضمن أخبار الشيخ بن عيسى، الذي كان سخّاراً ويحدثنا عن "جولانه وتلطامه في الصحرا". يبدأ المقامة هذه بقوله: "حكى احمد بن العربي قال كنت في زمان سعيد الكوكب وحال نلت فيه المطلب في اكتساب مال غير متعب.... إلى أن يقول: فلما دقت بنة العصاره وَجَدْتُ الرّيح يأخذوه الصحارة واختلطتُ مع رفقة راعين الأسفار لنواحي الفيافي والأقفار، فاعهدنا العهود والعدول، وأوجدنا الإبل لحمل الزاد والحمول، ودخلنا الصحرة بالفضول، فبقينا مدة نحن نتخير في عصا الجلب، ونميز في اغتنام الفوايد بالغلب، إلى أن سمعنا في يوم خيراً يطيش النفوس ويفرّ منه الصابر والعبوس، بان قيل أن أبا عمارة قد نافق بأعلامه وطاح على الطرافي بازدحامة، وأخذ أولاد ابراهيم وخوض الإمامة...." (17)

ويذكر أنه لما علم بهذه الأحداث تفرق هو وزملاؤه شيعة، وقصد كل واحد منهم مكانا للاختفاء به، فمنهم من قصد المنقار الفوقاني (وهو يقصد مغرار الفوقاني) ومنهم من قصد المنقار التحتاني (وهو يقصد مغرار التحتاني) ومنهم من قصد بوسمغون ومنهم من بقي في العقلة، أما الراوي فقد قصد بلدة المشرية ليختفي فيها إلى أن يزول الخطر.

يتضح مما أورده صاحب المقامة أنه لم يكن على بينة من حركة الشيخ بوعمامة، فالمطلع على هذه المقامة وهذه الأخبار عن أبي عمامة يتبادر إلى ذهنه أن الشخص قاطع طريق، خارجا عن القانون ومرتدا على السلطة الشرعية.

ومن المعلوم أن الراوي ينتسب إلى عائلة تعود أصولها إلى بلدة بطيوة التابعة لدائرة آرزو حاليا، ولكنه سكن بمدينة سعيدة ومعسكر وأخيرا ببلدة الدليمة (سان لوسيان) زهانة حاليا، عُرف عنه التنقل بين الحواضر المختلفة بحثا عن المزيد من العلم والمعرفة بعد أن لم يجد ما يكفيه من العلم في البلدة التي كان يسكنها بين قبائل الغرابة حيناً وعرش الزمالة حيناً آخر - كما يقول - (18). ويتضح من هذا أيضا أن صاحب المقامة وقف الموقف نفسه الذي وقفه المزارى والشقراني من حركة الشيخ بوعمامة.

خلاصة

يظهر مما سبق أن الكتاب الثلاثة المذكورين عاشوا في زمن متقارب وهو نهاية القرن التاسع عشر، وبالضبط في الثمانينيات والتسعينيات من القرن نفسه، لأن حركة الشيخ بوعمامة ظهرت سنة 1881 بالمنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، أو ما كان يدعى بالجنوب الوهراني لدى الفرنسيين. وقد شهدت الحركة مرحلة قوة في سنتي 1881-1882 ووصل تأثيرها إلى منطقة سعيدة وتيارت ومعسكر شمالا، من خلال المسيرتين التين قام بهما زعيم المقاومة نحو المنطقة التالية في شهر جوان وجويلية من سنة 1881؛ ثم ضعفت بعد ذلك وانسحب الشيخ من المنطقة التي اندلعت بها المقاومة الشعبية

المذكورة آنفا. وقد ناصرت الشيخ مجموعة كبيرة من قبائل المنطقة، ولم يكن في ذلك منفردا في حركته كما يصفه هؤلاء، كما أننا لم نجد لقضية حرق الشيخ لأسراه من الإسبان دليلا حتى في الكتابات الفرنسية نفسها المعاصرة له، مثل الضابط الفرنسي قرول Graule الذي وضع مؤلفا عن انتفاضة الشيخ بوعمامة، وكان من الضباط الذين شاركوا في مواجهة هذه الحركة المتمردة على السلطات الفرنسية⁽¹⁹⁾، ومثل غيره من العسكريين والصحفيين الذين كتبوا عن الحركة في حينها. ولو حدث مثلما يذكر بعض هؤلاء الجزائريين لما غفل عنه الكتاب الفرنسيون الذين كانوا الأولى والأجدر بتبيان أعمال بوعمامة المشينة والعمل على فضحها وإبرازها ليعلمها كل الناس. أما مهاجمته للقبائل الجزائرية التي لم تنصره فثابتة بالدليل والبرهان، وقد اتبعت مختلف المقاومات والثورات الجزائرية النهج نفسه، لأنها الطريقة المثلى والملائمة تجاه الذين خرجوا عن الإجماع الشعبي ووقفوا إلى جانب الفرنسيين أعداء الشعب بدل مناهضتهم.

فهل كانت هذه النظرة العدائية من هؤلاء الكتاب ناتجة عن الصراع الطرقي آنذاك؟ حيث كان الخلاف على أشده بين مختلف الطرق الصوفية، وكل يدعو إلى طريقته ويُسِفُه غيرها، وكل يعتبر شيخه هو حامل السر وغيره كاذب مدع. بما ليس أهلا له! أم أنها وسيلة من وسائل التقرب من السلطات الفرنسية الحاكمة بمدح أعمالها والانتقاص من كل من يناوئها؟ أم أنها مجرد الغيرة والحسد الكامنين في النفس البشرية؟ وإذا كنا قد علمنا مقصد الشخصية

الثانية وهي المزاري باعتباره من القبائل الموالية للسلطات الفرنسية فإننا نقف حيارى تجاه المقاصد لدى الشخصيتين الآخرين الراشدي الشقراني والجباري! إنه لمن المؤسف حقاً أن لا نجد، في القرن التاسع عشر، كاتباً جزائرياً يقدم حركة الشيخ كحركة وطنية تعمل لصالح البلاد والملة.

لقد خضع الكثير من الناس قهراً للسلطات الفرنسية بعد انسحاب مثقفي البلاد على إثر السياسة الفرنسية التي اتبعتها تجاه هؤلاء بالقتل في المعارك وبالنفى والتهجير، والذين كان منهم المفكر والمعلم والفقهاء والأديب وآخرون.

أما ما بقي من بعض أنواع الأدب فقد ضعف مستواه ومثله طائفة من الأدباء والشعراء الذين استغلوه لأغراض محدودة كالمدح والثناء والمدائح النبوية، ولقد بلغ الأمر ببعضهم نتيجة الاستكانة والضعف أن مدح زعماء فرنسيين، مثلما فعل أحمد ابن الفكون وابن الصائم وابن القاضي وغيرهم... وهكذا لم يعبر الأدب الرسمي آنذاك عن طموحات الجماهير الشعبية الغاضبة، لذا لجأ الناس إلى التعبير الشفوي فراحت الكلمة الشفوية تسجل كل كبيرة وصغيرة وتولد عن كل حدث حكاية أو شكوى ينقلها الناس من مكان إلى آخر.

لقد بلغ التفقه الثقافي مداه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبحت البلاد بدون نخبة مثقفة، عدا من كوّنتهم المدارس الفرنسية، والذين كانوا يعملون في إطار الأمر الواقع والوضع القائم. وأصبح التعليم في الكتاتيب والزوايا والمساجد مقتصرًا على تعليم الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم

دون شرح أو تفسير سواء لضعف مستوى المعلمين أو لتدخل السلطات الفرنسية الاستعمارية بالتوجيه والمراقبة.

حيث "أن التعليم بالزوايا على العموم حورب وحوصر بالمدرسة الفرنسية... وحاول الفرنسيون جر الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية في المدن أولا، وفي المرحلة الثانية أنشئوا ثلاث مدارس إقليمية لتمتص التلاميذ الذين كانوا من قبل يتوجهون إلى الزوايا الريفية وإلى المرابطين للتعلم أو يقصدون المعاهد الإسلامية خارج الجزائر."⁽²⁰⁾

وهكذا. أصبح المتعلمون من الجزائريين، آنذاك، يدعون إلى الخضوع للفرنسيين ويُسفّهون عمل كل من يقف في وجههم، بدل أن يقوموا بالدعاية من أجل الصمود والمقاومة، مثلما كان يفعل إخوانهم من الشعراء الشعبيين والمداحين ورواة القصص الشعبي والغزوات في التجمعات الشعبية المتعددة، الذين كانوا المعبرين حقا عن طموحات الجماهير الشعبية المقهورة آنذاك.

الهوامش:

1- أنظر: Yvonne Turin : Affrontements Culturels dans l'Algérie coloniale, ENAL, Alger, 1971, P/ 122

2- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

3- نفسه، ص: 20.

4- هو عبد القادر بن محمد المعروف بـ "سيد الشيخ" والمتوفى سنة 1616م/1023هـ، أحد أسلاف الشيخ بوعمامة، والولي الذي كان المقاومون يعقدون عند قبته العقود ويتنقون على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين مثلما فعل قبل ذلك زعماء أولاد سيد الشيخ سنة 1864.

- 5- نفسه، ص: 25.. وهو يقصد بالبابورات هنا القطارات.
- 6- نفسه، ص: 25.
- 7- عبد الله شريط ومحمد الملي، مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص: 206.
- 8- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980، ص" 57.
- 9- نفسه، ص: 20.
- 10- نفسه، ص 13 و 14.
- 11- نفسه، ص: 29.
- 12- الآغا إسماعيل بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج: 02، ط: 1، تحقيق ودارسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص: 265.
- 13- نفسه، ص: 265.
- 14- نفسه، ص: 223.
- 15- نفسه، ص: 104.
- 16- أنظر: Faure-Biguët. G. et Delphin. M. G. Les séances d'el-aouali, textes Arabes en dialecte maghrébin Journal Asiatique, onzième série, Tome/2. juin 1913 et Tome/3. Janv-Fev. 1914.
- 17- نفسه، ص: 303.
- 18- نفسه، ص: 294.
- 19- أنظر: Graule. E. Insurrection de Bouamama, Henri Charles Lavauzelle, Edition Militaire. Paris 1905.
- 20- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء: 3، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1998. ص: 172-173.

